# الأغراض الشعرية التي توسع فيها الأندلسيون

## *The poetic purposes that the Andalusians expanded on*

**أ. سلطان بن سليمان سليم العضياني:** ماجستير في الأدب والنقد من جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية.

**المشرف/ أ. د. عثمان محمد الحاج كنه:** أستاذ دكتور في الأدب والنقد من جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية.

**Mr. Sultan bin Suleiman Salim Al Adyani**: Master's degree in Literature and Criticism from King Faisal University. Kingdom of Saudi Arabia.

**Supervisor/ Prof. Dr. Othman Muhammad AlHajj Kanna**: Professor of Literature and Criticism from King Faisal University, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: sultan78sulaiman@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i10.676

**الملخص**:

تعنى هذه الدراسة بالتعرف على التراث الشعري الأندلسي، وذلك من خلال الوقوف على اهتماماتهم الموضوعية، ومعرفة أهم إسهاماتهم الفكرية فيما يتعلق بالإبداع الشعري، إذ درج الدرس النقدي والأدبي على أن الأندلسيين توسعوا في النظم على بعض الأغراض الشعرية، وأبدعوا موضوعات جديدة، أولوها عنايتهم، وتفننوا في إظهار معالمها، كشعر الطبيعة، ولا يخفى على الباحث أن هذا الغرض له جذوره الضاربة في أعماق الإبداع الشعري العربي منذ الجاهلية، لذلك تشكلت إشكالية هذا البحث في محاولة للإجابة على تساؤل رئيس مفاده: ما هي أهم إسهامات الشعراء الأندلسيين الشعرية؟ وهل جددوا في الموضوعات الشعرية؟ أم اكتفوا بالتقليد؟ وبغية حل هذه الإشكالية فقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يعنى باستقراء الظاهرة ومعرفة دلائلها، وتحليلها تحليلًا فنيًا موضوعيًا للوقوف على حقيقة الإبداع الشعري الأندلسي بين التقليد والتجديد، وذلك من خلال عناصر محددة رأيت مناسبتها لتحرير هذا البحث، إذ قسمته إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول تكلمت فيه عن الشعر الأندلسي بين التجديد والتقليد، والمبحث الثاني خصصته لفن الرثاء في الشعر الأندلسي وأنواعه، والمبحث الثالث تطرقت فيه لفني الطبيعة والوصف في الشعر الأندلسي، وأنهيت البحث بخاتمة وثبت المصادر والمراجع.

**الكلمات المفتاحية:** الشعر الأندلسي، الرثاء، فن الطبيعة، الوصف، التجديد، الموضوعات الشعرية.

**Abstract:**

This study is concerned with knowing the Andalusian poetic heritage. This is done by identifying their substantive interests and knowing their most important intellectual contributions with regard to poetic creativity. The critical and literary lesson was that the Andalusians expanded poetry on some poetic purposes, created new topics that they paid attention to, and excelled in showing their features, such as nature poetry. However, it is an open secret to the researcher that this purpose has its roots deep in the depths of Arab poetic creativity since pre-Islamic times. Therefore, the problem of this research was formed in an attempt to answer the main question: What are the most important poetic contributions of Andalusian poets? Did they innovate the poetic themes? Or did they just imitate? In order to solve this problem, I relied on the inductive and analytical approach, which is concerned with extrapolating the phenomenon, knowing its

evidence, and analyzing it objectively to determine the truth about Andalusian poetic creativity, by comparing tradition and innovation. This was done through specific elements that I considered appropriate for editing this research, as I divided it into three sections. The first section in which I talked about Andalusian poetry between tradition and innovation. The second section I devoted to the art of elegy in Andalusian poetry and its types. The third section touched on the arts of nature and description in Andalusian poetry. I ended the research with a conclusion and sources and references.

**Keywords**: Andalusian poetry, elegy, nature art, description, innovation, poetic themes.

**المقدمة:**

لم يغفل التاريخ العربي والإسلامي تلك الرقعة الكبرى التي أثرت الفكر العربي والإسلامي وأسهمت فيه إسهامات كبرى، فمنذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس، انتشرت الثقافة الإسلامية في تلك البلاد الجديدة، فعمدوا إلى تقليد المشارقة في كل مظاهر الحياة، بباعث من الانتماء للهُوية العربية والإسلامية، واستشعارًا بالعالم الإسلامي وطبيعته، حتى وإن انفصل الأمويون بهم كليًا عن الخلافة العباسية في المشرق.

مرت الأندلس بمراحل ثلاثة يمكننا من خلالها استظهار الثقافة الأندلسية، فالمرحلة الأولى: تقتصر على التقليد لكل وارد من المشرق؛ لأن المشرق هو منشأ الإسلام الذي ينتمون إليه، فلا يكون حكرًا على قُطر دون آخر، والمشرق يمثل منبع العرب، فوجب على تلك الدولة الناشئة أن تقتبس منها وتتأثر بها وتقلدها في كل مظاهرها، والمرحلة الثانية: وهي مرحلة المجاراة، وهي تلك المدة التي استقر فيها اللسان العربي، وسادت الثقافة العربية بين العلماء والعامة في بلاد الأندلس، ولعل الخلفاء الأمويين قد دعموا ذلك النهج، والمرحلة الثالثة: وهي مرحلة التفرد التي استمرت حتى سقوط الأندلس واندثارها من خارطة العالم الإسلامي.

وفقًا لتلك اللمحة العامة يمكننا القول بأن الشعر الأندلسي قد مر بتلك المراحل المتعاقبة، فالشعراء الأندلسيون قد قلدوا الشعراء المشارقة زمنًا، واحتكموا لنهجهم وأغراضهم وموضوعاتهم، وقد جاروهم فترة تالية، وظهر تأثرهم كثيرًا، وظهرت قدرتهم على المجاراة والمباراة وربما التفوق على

الأقران في بعض الأحيان، وأخيرًا نلمح تفرد الأندلسيين في النظم منذ بدايات القرن الرابع الهجري، خاصة في عصر الدول والإمارات، حيث ظهر من الشعراء الأعلام الذين أثروا في المنتج الشعري، وأظهروا تفردهم في النظم، والحديث في ذلك يطول.

استأثر الشعراء الأندلسيون ببعض الأغراض الشعرية، وأظهروا نبوغهم وتفوقهم على أقرانهم من الشعراء المشارقة في هذا الاتجاه، ومن جملة تلك الأغراض نجد فن الرثاء، وفن الوصف، وفن الطبيعة، تلك الفنون صُبغت بصبغة الأندلس، فانتقل الشعراء بها من التقليدية إلى الابتكار والتجديد الذي أصبح في مراحل تالية له أثره على الشعراء المشارقة، لذلك هدفتُ في هذا البحث إلى دراسة الأغراض الشعرية التي أبدع فيها الأندلسيون وجددوا فيها.

**أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

لقد دفعني إلى اختيار الموضوع مجموعة من الأسباب الآتية:

1- تفرُد الأندلسيين في فنون: الرثاء، والوصف، والطبيعة.

2- انتقال الأندلسيين بتلك الفنون إلى مرحلة فنية غير معهودة لدى الشعراء المشارقة.

3- تخطيهم بفن الرثاء عن تلك الرؤية التقليدية لدى الشعراء المشارقة، واستحداث فنون جديدة.

4- إبداعهم في فن الوصف واعتمادهم على تجديد مضامينه.

5- الأسس التي حدَت بهم لاستحداث شعر الطبيعة، وتقليد المشارقة لهم.

**أهداف البحث:**

يحاول البحث من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تمثل ركيزة البحث، وهي:

1- تجديد الشعراء الأندلسيين في الأغراض والموضوعات الشعرية.

2- التعرف إلى فنون الرثاء التي استحدثها الأندلسيون، وأهمية ذلك وأثره على المشارقة.

3- استحداث الأندلسيين لفن الطبيعة في الشعر الأندلسي.

4- تفرد الأندلسيين في فن الوصف.

**منهج البحث:**

يرتكز هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يُعنى باستقراء الآراء الأدبية والنقدية في جهود الشعراء الأندلسيين حول فنون: الرثاء والوصف والطبيعة في الأندلس، والتحليل وفق منهجية علمية.

**خطة البحث:**

- المبحث الأول: الشعر الأندلسي بين التجديد والتقليد.
- المبحث الثاني: فن الرثاء في الشعر الأندلسي وأنواعه.
- المبحث الثالث: فن الطبيعة والوصف في الشعر الأندلسي.
- الخاتمة.
- قائمة المصادر والمراجع.

## المبحث الأول: الشعر الأندلسي بين التجديد والتقليد

وصل المسلمون إلى الأندلس في نهايات القرن الأول من الهجرة المباركة، وأهل الأندلس من الأعاجم الذين لا ينطقون باللسان العربي، لذلك يمكننا القول بأن عصر الولاة الذي استمر إلى منتصف القرن الثاني تقريبًا لم يظهر فيه من الشعر والنثر ما يُنسب إلى أهل الأندلس، حاشا ما أُثر عن العرب من إبداعات أدبية تتمثل في: أبيات شعرية، أو خطب، أو مراسلات.

لذلك تكون بدايات نهوض الحياة الأدبية والفكرية مع استقرار الحياة السياسية ومعها استقرار الحياة الاقتصادية، وما يترتب على ذلك من عناية بالعلماء والأدباء، وهذا قد تحقق في عهد الخلافة الأموية بداية من استقرار الحكم في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل، خاصة وأن طبيعة الرجل متأثر بالتقاليد المشرقية التي تربى عليها في قصور الحكم والخلافة، وتسرد لنا بعض المصادر بعضًا من أخباره التي تُظهر لنا عنايته بالأدب، فقد" كان عبد الرحمن شاعراً جيد النظم، ناثراً فصيح البيان، قوى الترسل، عالماً بالشريعة، وكان يعتبر من أعظم بني مروان مكانة في البلاغة والأدب، وقد انتهت إلينا بعض رسائله وفيها تبدو قوة بيانه وفيض بلاغته"[1]، ومع ذلك لم تظهر بوادر النبوغ في الأدب الأندلسي حتى في عهده، ولم تنشط حركات التأليف كذلك، ولعل السبب في ذلك لم يرجع لعدم الاستقرار أو كثرة الاضطرابات؛ وإنما لتضارب اللسان العربي مع اللسان الإسباني للسكان الأصليين، فلم يصبغ الشعب الأندلسي بمجمله بالصبغة العربية كليًا، وهذه طبيعة لا تنفك عن أي بلد غير عربي فتحه المسلمون.

(1) عنان، محمد عبد الله، (1417هـ= 1997م)، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي– القاهرة، الطبعة الرابعة، ج1 ص201.

لقد "نهضت الحركة الأدبية في القرن الثالث تحت حكم الخلافة الأموية في الأندلس، ولكن اللافت للنظر أن الإبداع الأدبي على وجه الخصوص كان يحاكي الشعر العربي في الجزيرة العربية والشام والعراق، ولعل ذلك محل إجماع من الأدباء والمؤرخين، وصرحوا بأن الشعر الأندلسي في عصر الخلافة "كان يحاكي شعر الفرزدق والأخطل وجرير بالمشرق" [1]، وظل التقليد متصدرًا المشهد الإبداعي والأدبي حتى نهاية القرن الرابع، ولم تختلف حركة التأليف عن ذلك الملمح، ولكنها ظلت تابعة للحالة الإبداعية في الأندلس.

وظهر تأثُّر الأندلسيين بالمشارقة في شتى فروع العلوم، على الرغم من حضور أشكال التشجيع والعناية خاصة في عهد الخلافة الأموية، وعصر الدول والإمارات التابع له، فظهرت ملامح الإجادة والتطوير والإبداع في التأليف والتصنيف والنظم، وقد خفت حدة التأثُّر إلى ذلك العهد، ولعل إجادتهم وإحكامهم للعديد من المؤلفات التي أُثرت عنهم إلى نهاية القرن الخامس الهجري توشي بهذا، أما فيما يخص الأدب فإن الإجادة بفنونه بادية كما ذكرنا آنفًا، ولا أدلَّ على ذلك من جمهرة الشعراء الأندلسيين الذين خلدوا لنا دواوين شعرية لا تقل جودتها عن الشعر المشرقي: كديوان ابن زيدون وابن خفاجة، وكذلك أجادوا في بعض الفنون الشعرية كشعر الطبيعة وتفوقوا فيه على أقرانهم من المشارقة، ونجد تفردهم وتفوقهم في رثاء المدن والممالك، ومن ذلك قصيدة ابن عبدون في رثاء مملكة بني الأفطس والتي يقول في مطلعها:

الدَّهْر يفجَع بعد العين بالأثرِ *** فما البكاءُ على الأشباح والصّورِ [2]

والنماذج الإبداعية التي تدل على تفرد الأندلسيين في تلك المرحلة أكثر من أن تُحصى، فهناك العديد من المظاهر التي تؤيد ظهور النهضة الفكرية في الأندلس في ذلك العهد بالتزامن مع نهايات القرن الرابع الهجري وبدايات القرن الخامس، ومن قبلهما يتفرد الأندلسيون بفن الموشحات الذي لم يعهد المشارقة النظم على منواله، وحاولوا مجاراة الأندلسيين فيه.

ظهرت هُوية الأندلس على علمائها وأدبائها في القرن الخامس بالتزامن مع نهايات الخلافة الأموية وبدايات عصر الدول والإمارات، وقد تعددت الأسباب المؤدية لذلك بين ازدياد أعداد العلماء من جهة، وشيوع روح المنافسة من جهة أخرى، وتشجيع الحكام والخلفاء والأمراء من جهة ثالثة، وكذلك لا نغفل انتهاج الحكام وكبار رجال القصر نهج العلماء والأدباء في نظم الشعر والتأليف، واهتمام حكام الدول بصورة خاصة باستجلاب المفكرين والعلماء واستوزارهم والإغداق عليهم من

---

([1]) السامرائي وزنون ومصلوب، خليل إبراهيم، عبد الواحد طه، ناطق صالح، (2000م)، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة– بيروت، ط1، ص316.

([2]) الكلبي، ابن دحية، (1374هـ= 1955م)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، مراجعة: طه حسين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، ص27.

العطايا المتنوعة، لذلك نجد مصطلح الوزير أو ذي الوزارتين كثير الاقتران بالأدباء من الكتاب والشعراء: كأبي الوليد بن زيدون، وابن عبدون، وأبي بكر بن القصيرة، وأبي عبد الله بن أبي الخصال، وغيرهم[1].

اهتم العلماء والأدباء المشارقة بالنتاج الأندلسي من الآداب والعلوم في نهايات القرن الرابع الهجري، فنلاحظ حضور النصوص الأندلسية في مصنفات المشارقة كبداية أولية لاعتراف أهل المشرق بفضل أقرانهم من أهل الأندلس وإجادتهم، ولذلك نجد أن تأثير الأندلسيين على المشارقة ظهر بطريقتين، الطريقة الأولى: حضور بعض الأسماء في المصنفات المشرقية، وهذا النمط تجلى في بدايات القرن الرابع الهجري، والطريقة الثانية: هي المعبرة عن التأثير المباشر للأندلسيين على المشارقة، تجلت في تخصيص المشارقة لأقسام من مؤلفاتهم للقطر الأندلسي وأعلامه، أو تخصيص مصنفات كاملة تقوم على جهود الأندلسيين، ولنا أن نمثل لكل طريقة لنقف على البدايات الأولى لتأثير الأندلسيين على المشارقة، وأيضًا لنعرف مظاهر ذلك التأثير وأسبابه.

أسلفت بالذكر أن معالم تفرد الأندلسيين في الإبداع الأدبي ظهرت في القرن الرابع الهجري، ولعل ما يؤيد ذلك هو حضور إبداعاتهم وأخبارهم في مصنفات الأدباء المشارقة، ويُطلعنا الثعالبي على جملة من الشعراء الأندلسيين في كتابه (يتيمة الدهر) كأول مؤلف في المشرق يمكن أن نقف فيه على نتاج شعراء من الأندلس، فقد أورد أخبارًا وأشعارًا لعدد من الشعراء: كأحمد بن عبد ربه، ويوسف بن هارون، وابن دراج القسطلي، وغيرهم من شعراء الأندلس في القرنين الثالث والرابع[2].

ونجد اهتمام المؤلفين والأدباء بعد الثعالبي ينصب على الإبداع الأندلسي، فلا يجدوا غضاضة في أن يقتبسوا منه ويستشهدوا به في مؤلفاتهم، حتى وإن كان استحضارهم للأندلسيين شحيحًا إلى حد الندرة، ولكن الغاية من ذلك هو العناية بالشعر الأندلسي تحديدًا، ووضع أعلامه بجوار أعلام الأدباء المشارقة، في تلك المصنفات والموسوعات الأدبية التي قامت في أساسها على نتاج الأدب المشرقي، ومما نتمثل به لذلك هو كتاب (زهر الآداب وثمر الألباب)[3].

---

([1]) ينظر: ابن الأبار، (1981م)، الحلة السيراء، فمصطلح ذي الوزارتين منتشر في جملة ترجمات الأعلام من الأدباء في الكتاب، وكذلك: الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، وقد تعرض ابن بسام في مصنفه الموسوم بـ(الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لسرد أهل الفضل من الأدباء والوزراء ومن ولي وزارتين منهم، انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب– ليبيا، ط1، ج1 ص23 وما بعدها.

([2]) ينظر: الثعالبي، عبد الملك، (1403هـ= 1983م)، يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، ج2 ص6، ج2 ص114، ج2 ص119، وغيرها.

([3]) ينظر: القيرواني، أبو إسحاق الحصري، (1929م)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، دار الجيل– بيروت، ط2، انظر تمثله بالشاعر ابن هانئ الأندلسي، ج3 ص703، 757.

أحدث عماد الدين الكاتب الأصفهاني طفرة كبيرة في إظهار محاسن آداب الأندلسيين للمشارقة، وذلك حين خصص لهم جزءًا من خريدته التي استهدف بها بلاد المسلمين والعرب وقسمه تقسيمًا جغرافيًا، وخصص جزءًا منه لشعراء المغرب والأندلس، وهذا الكتاب يعد بعق خير شاهد على الإبداع الشعري للأندلسيين إلى القرن السادس الهجري، وقد هدف المؤلف إلى استيعاب جملة الشعراء في بلاد الأندلس، ولم يسبقه في هذا الأمر أحد[1].

## المبحث الثاني: فن الرثاء في الشعر الأندلسي وأنواعه:

فن الرثاء من الفنون الأثيرة في الموروث الشعري العربي، بل إن فن الرثاء هو الذي تتجلى فيها النزعة الشعرية في ديوان الشعر العربي أكثر من غيرها من الفنون الأخرى الواردة في الموروث الشعري على وجه العموم، والأندلسيون قد تركوا بصمتهم في هذا الفن وأحدثوا تجديدات لم تكن معلومة في العصور السابقة.

ولعل صدق العاطفة تظهر عند أغلب شعراء الرثاء؛ لأن الموضوع يتعلق بمصير الموت والفناء الذي لابد أن يصير إليه الإنسان، فيصبح أثراً بعد عين، وكأن لم يكن شيئاً مذكورا[2]، فـ"الرثاء شعبة من الوفاء؛ لأن الحي لا يرجو من الميت شيئا، فقد يتهم المادح في مدحه، ولكن قل أن يتهم الراثي في رثائه، وخاصة إذا لم تكن هناك صلة تربط الراثي بأهل المرثي"[3].

ومن المعلوم أن الرثاء عُرف عند العرب منذ العصر الجاهلي، فكان النساء والرجال جميعاً يندبون الموتى، وكذلك لم يختلف الأندلسيون عن المشارقة من حيث التفجع على الميت ووصف المصيبة وتعداد المناقب، فكانت معانيهم وأساليبهم متشابهة إلى حدٍّ كبير[4].

وليس بين الرثاء والمدح فرق؛ إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل "كان " أو " عدمنا به كيت وكيت " وما يشاكل هذا وليعلم أنه ميت.

---

([1]) ينظر: الأصفهاني، عماد الدين، (1971م)، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر.

([2]) ينظر: ضيف، شوقي، الرثاء، دار المعارف– القاهرة، الطبعة الرابعة، صـ5.

([3])الشناوي، عبد الرحمن حسن، (1413هـ= 1993م)، شعر علي الجندي دراسة أسلوبية وفنية، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم–جامعة القاهرة، بإشراف/ الأستاذ الدكتور محمد فتوح أحمد، صـ134.

([4]) ينظر: الركابي، جودت، في الأدب الأندلسي دار المعارف– القاهرة،، صـ114.

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع، بين الحسرة، مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً[1].

فالرثاء هو فن الوفاء، الذي لا كلفة فيه ولا تصنع للمشاعر التي يستدعيها الشاعر في الأغراض الأخرى، فهو شعور نابع من نفس مليئة بالحزن والأسى على الميت، لا يداخله تمني العطاء أو الهبة أو حتى ثناء الناس على شعره بالإجادة.

فالرثاء فن الموت، ولغة الحزن، ومجال اليأس، ومعرض الوفاء، والحزن في الأصل عاطفة سلبية؛ تحمل الإنسان على العكوف على النفس، والتفكير في شأنها فهو انهزام أمام الكوارث، ومدعاة إلى العظة والاعتبار [2].

وقد وضّح الدكتور شوقي ضيف ألوان الرثاء على حد تعبيره فقال: "والأمة العربية من الأمم التي تحتفظ بتراث ضخم من المراثي، وهي تأخذ عندها ألواناً ثلاثة، هي الندب والتأبين والعزاء"[3].

أما الندب: فبكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت.

والتأبين: هو الثناء على الميت، وذكر محامده وتعداد مناقبه، فالشاعر فيه لا يعبر عن حزنه هو وإنما يعبر عن حزن الجماعة، وما فقدته في هذا الفرد المهم من أفرادها.

والعزاء: هو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، حيث يتطرق الشاعر فيها إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة، وهذا ما يحدو بالشاعر إلى أن يزين مرثيته ويرصعها بحكم أصدق ما تكون إذا ما نبعت عن هذه الحالة الصادقة التي لا يسيطر عليها أي شيء إلا الوفاء نحو الميت أو الفقيد [4].

فلذلك ينبع دائما في شعر الرثاء صوت الرجل " الحكيم " الذي يتمثل العبرة المجسمة في حقيقة الموت ويربط في ذلك بين الماضي والحاضر، وربما لم يكن في هذا الاتجاه الشعري شيء من تصوير التأثر

---

([1]) ينظر: القيرواني، ابن رشيق، (1401هـ = 1981م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، جـ2 صـ147.

(4) البيهقي، إبراهيم بن محمد، (1906م)، المحاسن والمساوئ، عني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، د.ط، مصر، مطبعة السعادة، 1906م، جـ2 صـ34-35.

([2]) الشايب، أحمد، (2003م)، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط2 عشرة، صـ86.

([3]) ضيف، شوقي، الرثاء، صـ5.

([4]) ينظر: السابق، صـ5-6.

الذاتي للحادثة المباشرة، وإنما فيه أسى عميق على العظماء من بني الإنسان، فهو بكاء على العظمة من خلال تصوير عظمة الموت، رجاء التأسي[1].

لم يقصر الأندلسيون فن الرثاء على بكاء الميت وتعديد مناقبه، وإنما انتقلوا به إلى أغراض لم تكن معهودة في المشرق، هذا بخلاف قدرتهم التعبيرية على التفنن في رثاء الأشخاص، فننظر لأبي عامر بن الحمارة حين يرثي زوجته فيقول:

ولما أن حللت التُّربَ قلنا *** لقد ضلَّت مواقعَها النُّـجومُ

ألا يا زهرةً ذبلتْ سـريعًا *** أضنَّ المزنُ أم ركدَ النَّسيمُ[2]

فقد أظهر الشاعر مرارته على فراق زوجه، حيث شبهها بالنجوم التي ضلت مواقعها في أعالي السماء لتحل في باطن الأرض بدفنها، ويصورها كذلك بالزهرة التي أصابها الذبول سريعًا، وهو يتساءل عن سر ذبولها أهو بسبب تغيب المطر وانقطاعه، أم بسبب غياب النسيم وانعزاله عنها.

واشتهروا بمراثيهم للدول الزائلة، ومراثي ابن اللبَّانة في بني عباد مشهورة، وكذلك مراثي ابن عبدون في بني الأفطس أصحاب بطليموس، ومن بديع نظمه قصيدته التي يقول فيها:

ما لليالي أقال اللهُ عـــثرتَنَا *** من الليالي وخانَتْها يدُ الـــغيرِ

تسُرُّ بالشيء لكن كي تَغُرَّ به *** كالأيمِ ثار إلى الجاني من الزَّهَرِ[3]

ويقول ابن أبي الخصال الغافقي في مطلع قصيدته التي رثى بها الوزير أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن مالك، التي تعد أطول مرثيات ابن أبي الخصال، فقد تجاوزت الثمانين بيتاً، والتي يقول فيها:

قضاءٌ من الرّحمنِ ليس لَهُ رَدُّ *** وسَكرةُ مَوتٍ ليس من وِردِها بُدُّ

وكأسٌ أدارتها يدُ العدلِ بَينَنا *** فيَشرَبُها المَولى كما يشرَبُ العَبـدُ

سَقت أُمَّ عَمرٍ والّذين سقتهمُ *** دِراكاً وكانت لا يُنَهنِهُها الصَّـدُّ

(1) ينظر: عباس، إحسان، (1978م)، تاريخ الأدب الأندلسي(عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة– بيروت، الطبعة الخامسة، صـ117.

(2) ينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه، دار المعارف– مصر، ط2 عشرة، ص434.

(3) ابن بسام، (1981م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب– ليبيا، ط2، ج4 ص721.

وما أخطأَت خيرَ الثلاثةِ عندَها *** ولا قصَّرت عن خيرِهم عندَنا بَـعدُ[1]

ففي هذه القصيدة تتجلى كل قدرات ابن أبي الخصال الشعرية، فقد استحوذ هذا المرثي على قلبه وعقله، وهذا ما نستوضحه من حرارة الشوق، وصدق العاطفة اللذين بثهما ابن أبي الخصال في ثنايا أبيات هذه القصيدة المولعة بالحزن والأسى، وهذا ما يستشعره أي قارئ لهذه القصيدة من مطلعها الذي يدل على موضوع القصيدة كلها، حيث بدأ قضيته بالإيمان بأنه لا مفر ولا مهرب من الموت، فهو قضاء الله الذي لا مرد له، والذي لا يأتي إلا بسكرة الموت التي قال فيها النبي –عليه الصلاة والسلام– "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ" [2].

رثى ابن أبي الخصال العديد من أعلام الأندلس، ولعل فن الوصف هو أكثر الفنون استحواذًا على ديوانه الشعري، حيث رثى بخلاف ذلك ابنه وأخاه، ولم يغفل ذلك الفن الذي برع فيه الأندلسيون، وهو فن رثاء المدن والممالك، فقد رثى مدينة قرطبة بمخمسة بديعة يقول فيها:

سمت لهم بالغور والشمل جامع *** بروق بأعلام العذيب لوامع

فباحت بأسرار القلوب المدامع *** ورب غرام لم تنله المسامع

أذاع به مرفضها المتصوب

يتضح لنا من خلال هذه النماذج أن الأندلسيين عمدوا إلى التجديد في فن الرثاء، فلم يقفوا عند تلك الحدود التي وقف عندها المشارقة في رثاء الأهل، وانتقلوا به إلى رثاء الأقوام والمدن والممالك، لتظل بصمة الأندلسيين في ذلك الفن باقية خالدة، وتشهد بقيمة القوم أو المدن أو الممالك التي رثوها.

## المبحث الثالث: شعر الطبيعة، والوصف في الأندلس:

لقد دعت طبيعة الأندلس الشعراء لوصف كل ما تقع عليه أعينهم، فقلما نجد شاعراً على إطلاق القول، وخاصةً شعراء الأندلس لم يخلف لنا جانباً من شعره في فن الوصف، وهذا ما يؤكده الدكتور عمر الدسوقي بقوله: "وما من شاعر إلّا له في الوصف أبياتٌ وقصائدٌ"[3]، ولعل هؤلاء القلة قد ضمنوا قصائدهم التي أنشؤوها في أغراض الشعر الأخرى شيئاً من الوصف، وذلك ما ذهب إليه بن رشيق في قوله: "الشعر –إلا أقله– راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه، وهو

(1) الغافقي، ابن أبي الخصال، (2017م)، ديوان ابن أبي الخصال، بتحقيق: محمود عبد الحليم مصطفى، مكتبة الآداب– القاهرة، ط1، ص75.

(2) الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة، مكتبة بن تيمية، جـ23 صـ31.

(3) الدسوقي، عمر، (1420 هـ– 2000م)، في الأدب الحديث، القاهرة، دار الفكر العربي، جـ1 صـ196.

مناسب للتشبيه، مشتمل عليه، وليس به؛ لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه، والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء، وأن ذلك مجاز وتمثيل"[1].

ولعل الوصف من أكثر الفنون اقتراناً بطبيعة البشر، ومنه رأي الأديب مصطفى صادق الرافعي حين قال: "الوصف جزء طبيعي من منطق الإنسان؛ لأن النفس محتاجة من أصل الفطرة إلى ما يكشف لها من الموجودات، وما يكشف للموجودات منها، ولا يكون ذلك إلا بتمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التصور في طريق من طرق السمع والبصر والفؤاد؛ أي: الحس المعنوي، فالأمم الطبيعية هي أصدق الأمم في الوصف طبيعة؛ لأنه سبيل الحقيقة في ألسنتها، ولأن حاجاتها الماسة إليه تجعل هذا الحس فيها أقرب إلى الكمال"[2].

وقد تميز الشعراء الأندلسيون في الوصف خاصة، حيث نرى الوصف في ثنايا قصائد قيلت في مختلف الأغراض كالمدح والرثاء والهجاء وغيرها، إلا أن الأندلسيين قد منحوه بعضاً من الاستقلال، فهناك شعر وصفي لجميع مظاهر الحياة الحضرية الهانئة، من وصف لمجالس اللهو، والغناء، والرقص، والشراب وآلته، والصيد وأدواته، والنساء وأحوالهن.

وهناك شعر وصفي للطبيعة، ولمظاهر العمران، والقصور، والحرب والسلاح، والسفن، وغير ذلك مما يتناول الحياة برخائها وحربها[3]، وقد قال إحسان عباس في معرض حديثه عن شعر الطبيعة في الأندلس: "تلك هي الذروة التي وصلها شعر الطبيعة في الأندلس، ومردها في الأكثر إلى التكوين النفسي للفرد الذي مارس هذا اللون من الشعر، وقد كان الموشح مجالا لشعر الطبيعة، غير أن قيود النغمة قد حرمته من الانطلاق الذي بلغه ابن خفاجة وقصرت همته على الصورة الجميلة، إلا بعض الألوان الجديدة في " صبوحيات " ابن زمرك، وهي مما يقع في غير هذا العصر"[4].

والوصف لا يقترن بالجمال فقط، ولكن الشاعر يصف ما يراه من الحسن والقبيح، ولعل وصف الشيء الحسن الجميل يزيد النفس رغبة ومتعة بخلاف القبيح.

ولما كان هذا الفن واسعًا يتناول كل شيء، كان أسلوبه كثير التنوع، فوصف الحسيات غير وصف المعنويات، ووصف الحروب يختلف عن وصف المناظر الجميلة، ولغة الأصوات المدوية

---

([1])القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، جـ2 صـ294.

([2]) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، جـ3 صـ119.

([3]) ينظر: الركابي، جودت، في الأدب الأندلسي، صـ120.

([4]) عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، ص 215.

تغاير لغة الألوان الزاهية، وفوق ذلك لا يخلو فن من الوصف، فهو في الحرب حماسة، وفي الجمال نسيب، وفي الفضائل مديح، وفي الحزن رثاء، وهكذا تجد الشعر إلا أقله راجعا إلى باب الوصف[1].

وقد اختلف الشعراء في وصفهم للطبيعة ومحاسنها، فمنهم من أجاد حتى قلب السمع بصراً، وهذا هو أبلغ الوصف[2]، ومنهم من بالغ في وصفه، وهذا إن دل فإنما يدل على عدم الإلمام والإحاطة بأحوال الموصوف.

يقول قدامة بن جعفر: "الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم بأظهرها فيه وأولاها، حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحس بنعته"[3].

وهذا ما يؤكده مصطفى صادق الرافعي بقوله: "ولما كان الوصف الشعري هو أرقى ما يكون في اللغة من صناعة الأصباغ والتلوين، كان لا يقع إلا على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، وكان أجوده لذلك ما استجمع أكثر المعاني، التي يتركب منها الشيء الموصوف، وأظهرها فيه، وأولاها بتمثيل حقيقته" [4].

لهذا فلا بد من الإلمام بشمائل الموصوف وأحواله حتى لا يجنح الشاعر عن الإصابة في رأيه، ونقل الصورة التي أراد وصفها بصدق، وهذا هو عين البلاغة، وهذا ما دعا الهاشمي، في كتابه جواهر الأدب، لأن يضع معاييرًا وأصولاً يجب أن يلتزم بها الواصف، كي يبلغ بوصفه حد الإجادة والبلاغة، وذلك يوضحه في قوله:

"الوصف عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له وأصوله ثلاثة، الأول: أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عما سواه، الثاني: أن يكون ذا طلاوة ورونق، الثالث: ألَّا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب، ويكتفي بما كان مناسباً للحال"[5].

---

([1]) ينظر: الشايب، أحمد، الأسلوب، صـ90.

([2]) ينظر: القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، جـ2 صـ295.

([3]) ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، صـ130.

([4]) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، جـ3 صـ119.

([5]) الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، د.ط، مؤسسة المعارف– بيروت،، جـ1 صـ326.

وهناك أصل رابع لا بد أن يتحلى به المبدع في نظمه أو نثره، وهو ما ذهب إليه الدكتور إحسان عباس في قوله: "عيار الإصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز، فما وجده صادقاً في العلوق ممازجاً في اللصوق، يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه، فذاك سيماء الإصابة فيه"[1].

وفي الوصف قال الدكتور عمر الدسوقي إن: "الوصف من أسمى ضروب الشعر، لا تتفق الإجادة فيه والإكثار منه إلا إذا كان الشعر حيًّا، وكانت نزعة العصر إليه قوية، وكان النظر فيه صحيحًا، والإجادة في الوصف تدل على شاعرية قوية؛ لأن الشاعر لا تدفعه إليه رغبة أو رهبة، وإنما يدفعه إليه انفعاله وحساسيته بما يحيط به"[2].

كما قال المقريُّ عن شعراء الأندلس: "وهل تكمل لذة دون إحضار خدود الورد، وعيون النرجس، وأصداغ الآس، ونهود السفرجل، وقدود قصب السكر، ومباسم قلوب اللوز، وسرر التفاح، ورضاب ابنة العنب، فقد اكتمل بهذه الأوصاف المختلسة من أوصاف الحبائب الطرب"[3].

من خلال تلك الرؤية التنظيرية يتضح لنا أن الأندلسيين نظموا في فنَي الطبيعة والوصف إذا وضعنا بينهما حدودًا فاصلة، إلا أن البحث قد يذهب إلى أن فن الطبيعة يندرج بطبيعته في ثنايا الفنون عن طريق الصور البيانية، ويتداخل فن الطبيعة بصورة خاصة مع فن الوصف، لذلك نجد أن للطبيعة والوصف في الأندلس رؤية خاصة نقلت رؤيتهم لتلك الحياة الغناء المترفة بالخضرة والمناظر الجميلة، إلا أننا نجد بعض الأدباء والباحثين في العصر الحديث قد هون من جهدهم المبذول، ولا أدل على ذلك مما قاله الدكتور شوقي ضيف في معرض حديثه عن الشعر الأندلسي، وكانت نظرته أن شعراء الأندلس لم يحاولوا الثورة على الأوضاع والأنماط العباسية، فقد كانوا في غالب الأمر يقلدون العباسيين ويحاكونهم، ولم يفكر أحد منهم في الخروج على هذا التقليد وتلك المحاكاة، إلا أن الطبيعة حتمت عليهم الإكثار والتفنن في شعر الطبيعة.

فلم يكن شعراء الأندلس، ليحدثوا مذهبًا فنيًّا جديدًا في الشعر العربي، فقد جمدوا غالبًا عند التقليد والصَّوغ على نماذج المشرق، وحقًّا أن الأندلس عاشت في ترف أحدَثَ عندها اهتمامًا بشعر الطبيعة، كما أحدث عندها نهضة واسعة في الغناء وما يطوي من الموشحات والأزجال، غير أن صنيعهم في هذه الجوانب اقتصر على الشكل، ولم يتجاوزه إلى الصياغة العقلية والشعورية، فكل ما لهم في شعر الطبيعة إنما هو الكثرة، أما أفكارهم طرْقهم في الوصف ومناهجهم، فكل ذلك يستعيرونه

---

([1]) عباس، إحسان، (1404هـ=1983م)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الدكتور الطبعة الرابعة، دار الثقافة– بيروت، صـ406.

([2])الدسوقي، عمر، في الأدب الحديث، جـ2 صـ310.

([3]) التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، (1997م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت، دار صادر، جـ3 صـ496.

من المشرق استعارة وينقلونه نقلاً، وحتى ما نجده عندهم أحيانًا من التشخيص وبعث الشعور في الطبيعة، قد تأثروا فيه بالعباسيين من أمثال: أبي تمام وابن الرومي، ولعل الغناء وما تبعه من موشحات وأزجال هو الجانب الطريف في دراسة الشعر الأندلسي، فقد سارعت الأندلس إلى العناية بالآداب الشعبية، ولكن ينبغي أيضًا أن لا نبالغ في ذلك، فإن هذه العناية لم تُحدث كما نقول تغييرًا في صياغة التفكير الفني عند الأندلسيين، إنما كل ما هناك أنهم يتخلصون من التقيد بالوزن، كما يتخلصون من التقيد بالقافية الواحدة وهذا كل ما عندهم من تجديد، وهو تجديد شكلي اضطرتهم إليه ظروف الغناء، وحقًّا هم قد جددوا كثيرًا في الأوزان، ولكنا عرفنا في غير هذا الموضع أنهم سبقوا بذلك، سبقهم العباسيون إذ أوشكوا أن يغيروا صورة "الرُّقم الموسيقية" القديمة تغييرًا تامًّا، وإذن لا يبقى للأندلسيين في موشحاتهم سوى التجديد في القافية(1).

ولعل شوقي ضيف حجّم من عملهم، فلو لم يكن للشعراء الأندلسيين غير ترقيقهم للشعر، وجميل تصويراتهم وإكثارهم من إلباس الشعر بالطبيعة؛ ليظل حيًا لكفاهم هذا من تجديد، ولا يخفى علينا ذلك التراث الشعري الذي ورثناه عن شعراء الأندلس، وما قام عليه من دراسات أدبية ونقدية قديمًا وحديثًا، ولا زلنا نسعدُ ببحوث تصدر بجديد عن الشعر الأندلسي.

وربما كان أهم موضوع عند الأندلسيين هو وصف الطبيعة، وقد أعانهم فيه جمال المناظر في إقليمهم، ولهم فيه قصائد كثيرة، كانت تستمد من كنوز الشعر العباسي، مضيفة إليها أخيلة دقيقة كثيرة، على شاكلة قول الرُّصافي(2) يصف نهرًا وما على جانبيه من أشجار تتراءى على صفحته ظلالها(2):

ومُهَدَّلِ الشطَّين تحسب أنــه *** متسايلٌ من دُرَّةٍ لصــــفائِهِ

فاءت عليه مع الهجيرةِ سَرْحَةٌ *** صدئت لفيئتها صفيحةُ مائِهِ

وتراه أزرق في غلالة سندسٍ *** كالدَّارعِ استلقى لظلّ لـوائِهِ

(1) ينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف– مصر، ط2 عشرة، ص445.

(2) الرَصافي البَلَنسي، محمد بن غالب الرفاء الرصافي أبو عبد الله، شاعر وقته في الأندلس، وأصله من رصافة بلنسية وإليها نسبته.كان يرفأ الثياب ترفعاً عن التكسب بشعره. وعرفه صاحب (المعجب) بالوزير الكاتب، أقام مدة بغرناطة، وسكن مالقة وتوفي بها. له ديوان شعر وجمع الدكتور إحسان عباس ما وجد من شعره، انظر: الزركلي، خير الدين، (2002م)، الأعلام، دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ج6 ص324.

والزهريات والنوريات، بوصفهما صورة فنية جمالية، أبرزت جمال الطبيعة، وجمعت بين الحسنيين، جمال الشكل وطيب الرائحة، قد أضحت مصدر إلهام لكثير من شعراء الأندلس؛ حيث استمدوا من تنوع ألوانها وطيب عطرها، ما يخدم المعاني الشعرية في قصائدهم.

ويقول ابن خفاجة في وصف الجلنار[1]:

وَأَشقَرٍ تُضرَمُ مِنهُ الوَغى *** بِشُعلَةٍ مِن شُعَلِ الباسِ

مِن جُلَّنارٍ ناضِرٍ خــدُّهُ *** وَأُذُنُــهُ مِن وَرَقِ الآسِ

تَطلُعُ لِلغُرَّةِ في وَجــهِهِ *** حَبابَةٌ تَضحَكُ في كـاسِ

ويقول ابن فرج الجياني[2] في وصف الأقحوان:

الأقحوان غصونُهُ *** بيض النواصي والمفَارق

ومراودُ الأمطار قد *** كُحِلَت بها حَدَقُ الحدائق

ويقول ابن فرج الجياني :

سوالفُ سَوسَن وخــدودُ وردٍ *** وأعينُ نرجسٍ وَجِبَاهُ غُدرِ

محاسنُ ليس يُرضى عن نديم *** إذا لم يقض واجبها بشُكرِ.

(1) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تح: مصطفى سلامة النجاري، المطبعة الخاصة بجمعية المعارف، القاهرة، مصر.

(2)أحمد بن محمد بن فرج الجياني الأندلسي : أبو عمر، وقد ينسب إلى جده فيقال أحمد بن فرج، وكذلك أخوه. وهو وافر الأدب كثير الشعر معدود في العلماء والشعراء، وله الكتاب المعروف «بكتاب الحدائق» ألفه للحكم المستنصر، عارض فيه «كتاب الزهرة» لابن داود الأصبهاني ولم يورد فيه لغير الاندلسيين شيئا، وأحسن الاختيار ما شاء. وله أيضا «كتاب المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم». وكان الحكم قد سجنه لأمر. المؤلف: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (1414هـ =1993م)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، (1/ 473).

يصف الشعراء في النصوص السابقة معالم الطبيعة، ونقلوا الصورة الشعرية؛ باستشعارهم معالم الجمال في كل ما وقعت عليه أعينهم من معالم الطبيعة، فوصفوها وصوروها، فقد رأينا وصف الجدول والجلنار والأقحوان، وعلى النهج ذاته يقول ابن عبد ربه الأندلسي[1] في وصف السوسن:

كم سَوْسَنٍ لَطفَ الحياءُ بِلَونِهِ *** فَأصارَهُ وَرْداً على وَجْناتِهِ

ولم يغفل الأندلسيون في وصف المعشوقة ووصف الخمر وتشبيهها بما يروق لهم من معالم الطبيعة حولهم، ننظر مثلًا إلى قول ابنه عبد ربه في وصف الخمر:

وليلٍ بِتُّ أُسْقاها سُلافاً *** مُعَتَّقَةً كلَوْنِ الجُـــلَّنارِ

كأنّ حَبابَها خَـرَزَاتُ دُرٍّ *** عَلَتْ ذَهَباً بأقْداحِ النُّضَارِ

ويقول ابن السيد البطليوسي[2] في وصف الشفيق كأحد المناظر الطبيعية الخلابة:

كأن الشفيق الغض والفجرُ ساطع *** خدود زهاها الحسن أن تتنقبا

وعلى النهج نفسه يقول ابن أبي حديدة[3]:

أوما ترى الغيث المعرس باكيا *** يذري الدموع على رياض شفيق

فكأن قطر دموعه من فوقـها *** درر تبدد في بساط عـــــقيق

ويقول الطليق المرواني في وصف الخمر أيضًا:

أَشرقت في ناصِعٍ من كَفِّهِ *** كَشعاع الشَمس لاقى الفَلَقا[4]

---

([1]) العلامة، الأديب، الأخباري، صاحب كتاب (العقد)، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير المرواني مولى أمير الأندلس هشام بن الداخل الأندلسي القرطبي. سمع: بقي بن مخلد، وجماعة. وكان موثقا نبيلا بليغا شاعرا، عاش اثنين وثمانين سنة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (1405هـ =1985م)، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، (283/15).

([2]) البطليوسي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد العلامة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد النحوي، اللغوي، صاحب التصانيف. أقرأ الآداب، وشرح (الموطأ)، وله كتاب (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب)، وكتاب (الأسباب الموجبة لاختلاف الأئمة، وأشياء، ونظم فائق. مات: في رجب، سنة إحدى وعشرين وخمس مائة. ينظر: الذهبي، شمس الدين (19/ 532).

([3]) ابن القاسم بن أبي الليث المعروف بابن أبي حديدة التميمي. شاعر فكه الشعر من شعراء القيروان، رائع التشبيه، قليل التكلف قوي المنهج. عاش في القرن الخامس الهجري.

([4]) الكتاني، محمد بن الحسن، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص94.

فَكأَنَّ الكأسَ في أَنمُلِهِ *** صُفرةُ النَرجِسِ تَعلو الوَرِقا

أَصبَحت شَمساً وَفوهُ مَغرِباً *** وَيَدُ الساقي المُحَيّي مَشرِقا

فَإِذا ما غربت في فَمِهِ *** تَركت في الخَدِّ منه شَفَقا

وَغمامٍ هَطِلٍ شُؤْبُوبه *** نادمَ الروضَ فَغَنّى وَسَقى

يتفنن الطليق المرواني في وصف الخمر معتمدًا على الرمز اللوني، ولعل أغلب خمرياته، اتكأ فيها على اللون كعنصر من العناصر المكونة لصورته الشعرية، ولكن يلفت نظرنا أن أغلب هذه الصور في وصف الخمر مطروقة من قبله، فلم يأت فيها بجديد، ولكنه يغاير في أوصاف الخمر وجمال لونها، واعتماده على جماليات الألوان مقتبس من الطبيعة المتسلطة على وجدانه، ففي الأبيات السابقة، يصور لنا صورة الخمر ولونها المخلوط بين الحمرة والبياض كشعاع الشمس، ونشير إلى أن التشبيه بشعاع الشمس منتشر في الشعر العربي، وقد أكثر الشعراء من توظيفه في أشعارهم لغرض الوصف وتصوير المحاسن، ولا يشذ المرواني عنهم في هذا، فهو يصور جمال الخمر في الكأس الناصعة بشعاع الشمس لحظة انفلاقها وإذهاب عتمة الليل، فشعاعها هزيل به حمرة تبعث على الانتشاء.

ويقول كذلك الطليق المرواني مبدعًا في تصوير الطبيعة ووصفها:

لَه عَسكَرٌ كالبَحر بالبيض مُزبدٌ *** وَكالغيم عَن بَرقِ السيوف قَد افترا[1]

إِذا ما تَبَدّى فيه كُلُّ مُدَجَّجٍ *** بَدا كعبابِ البحر أَبيضَ مخضرا

فَإِن عصفت ريحُ الوَغى بكماتِه *** رأَيتَ بها وَجهَ الحمامَ قَد اصفرّا

وكذلك قوله:

رُبَّ يَومٍ قَد ظَلَّ فيه نديمي *** يَتَغَنّى بِرَوضَةٍ غَنّاءَ[2]

وَكأَنَّ الرياضَ حُسناً حَبيبٌ *** عاطرٌ سامهُ المحبُّ لقاءَ

ضربت سُحبهُ رواقاً علينا *** وارتَدَينا مِن الغمام رداءَ

قَد تَحلّى بِزَهرِهِ وَتَبدّى *** ماثِلاً في غلالةٍ خَضراءَ

فأَرتنا الرياضُ منها نُجوماً *** وَأَرانا سنا العُقار ذَكاءَ

(1) المصدر السابق، ص204.

(2)الكتاني، محمد بن الحسن، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص54.

فَكأَنَّا بِها شربنا *** سَناها وَحللنا بِما حللنا السَماءَ

يتضح لنا من خلال تلك النماذج أن الأندلسيين تميزوا بطابع خاص في فن الوصف، امتازوا به عن المشارقة بفعل الطبيعة، حيث تسلطت الطبيعة على نتاجهم الشعري إجمالًا، فقد نجد حضور معالمها في التصويرات والتشبيهات في مختلف الفنون الشعرية، ولعلنا ندرك تداخل لطبيعة بصورة كبيرة في فن الوصف الذي أحكموا النظم فيه، فلم يترك الأندلسيون شيئًا تراه أعينهم أو تسمعه آذانهم أو تدركه حواسهم إلا وصفوه، وهذه حقيقة إبداع الشعراء الأندلسيين في فن الوصف والطبيعة.

## الخاتمة:

من خلال تلك الرحلة مع الشعر الأندلسي من خلال الرثاء والطبيعة والوصف؛ أظهرَت أن الشعراء الأندلسيين لم يخرجوا في الإطار العام عن الفنون التقليدية للشعر العربي في المشرق، ولكنهم أضفوا على بعض تلك الفنون نوعًا من التجديد، وصبغوه بصبغة الأندلس وطبيعته، وأهم هذه الفنون التي ظهر فيها تجديدهم جليًا وواضحًا هي فن الرثاء والطبيعة والوصف، وبناءً على ذلك توصلت لمجموعة من النتائج أعرضها في النقاط الآتية:

- تشعب العصر الأندلسي من الفتح إلى السقوط إلى ثلاثة مستويات على النطاق الأدبي والشعري، فالمستوى الأول: يتحدد ببداية التواجد الإسلامي إلى سقوط الخلافة الأموية، وهذه هي مرحلة التقليد والتأثر، والمرحلة التالية تتحدد بعصرَي الدول والممالك وعصر المرابطين وهذا هو عصر التفرد والظهور، والمرحلة الثالثة تتحدد ببداية حكم الموحدين إلى سقوط غرناطة، وقد امتاز الشعر الأندلسي عن الشعر في المشرق بصورة ملحوظة.
- أبدع الأندلسيون في فن الرثاء، فاستلهموا قضاياه الموروثة عن المشرق، وأحكموا النظم فيها، واستنبطوا موضوعات جديدة في طيّات فن الرثاء، فقد أبدعوا في رثاء المدن والممالك والأقوام، كرثاء بني عباد أو رثاء بني الأفطس، وكذلك رثاء قرطبة أو غرناطة على نحو ما رأينا.
- تفرد الشعراء الأندلسيون في فن الرثاء وموضوعاته، وقد أثروا بهذا التجديد في المشارقة تأثيرًا بينًا، واللافت للنظر أن الشعراء المشارقة لم يبلغوا حد الإجادة في تقليد الأندلسيين.
- خلط الأندلسيون بين الطبيعة ومختلف الفنون الشعرية، فعمدوا إلى دمجها في العديد من الأغراض الشعرية المعروفة، وقد طرأ هذا بباعث طبيعة الأندلس ذاتها، في حين أنهم نظموا قصائد مستقلة في وصف الطبيعة الأندلسية والتغني بجمالها، ويمكننا إدراج ذلك في ثنايا فن الوصف كذلك.

- أحكم الأندلسيون فن الوصف، وهو من الفنون الموروثة عن المشرق العربي، ولكنهم أحكموا صنعته أكثر من المشارقة، فأضافوا إليه من المعاني المبتكرة التي لم تكن معهودة لدى المشارقة، حتى أنهم وصفوا كل ما وقعت عليه أعينهم، وكل ما سمعوه أو أدركوه بجوارحهم، فكانت إضافاتهم فيه ذات بال لدى الباحثين في العصر الحديث.

## قائمة المصادر والمراجع:


- إبراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، عني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، د.ط، مصر، مطبعة السعادة، 1906م.
- ابن أبي الخصال الغافقي، ديوانه، بتحقيق: محمود عبد الحليم مصطفى، مكتبة الآداب– القاهرة، ط1، 2017م.
- ابن الأبار، الحلة السيراء، فمصطلح ذي الوزارتين منتشر في جملة ترجمات الأعلام من الأدباء في الكتاب، وكذلك: الفتح بن خاقان، قلائد العقيان،
- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب– ليبيا، ط1، 1981م.
- ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تحقيق: مصطفى سلامة النجاري، المطبعة الخاصة بجمعية المعارف– القاهرة، مصر.
- ابن دحية الكلبي، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، مراجعة: طه حسين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت، 1955م.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م.
- أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، دار الجيل– بيروت، ط2، 1929م.
- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي(عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة– بيروت، الطبعة الخامسة، 1978م.
- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الدكتور الطبعة الرابعة، دار الثقافة– بيروت، 1404هـ=1983م.

- أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية– القاهرة، ط12، 2003م.
- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، د.ط، مؤسسة المعارف– بيروت.
- جودت الركابي، في الأدب الأندلسي دار المعارف– القاهرة.
- خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد زنون طه، ناطق صالح مصلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة– بيروت، ط1، 2000م.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين– بيروت، ط15، 2002 م.
- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط3، 1985 م.
- شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف– القاهرة، الطبعة الرابعة.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف– مصر، ط2 عشرة.
- الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية– القاهرة.
- عبد الرحمن حسن الشناوي، شعر علي الجندي دراسة أسلوبية وفنية، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم–جامعة القاهرة، بإشراف/ الأستاذ الدكتور محمد فتوح أحمد، 1993م.
- عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، 1983م.
- عماد الدين الأصفهاني الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر، 1971م.
- عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، القاهرة، دار الفكر العربي، 2000م.
- قدامة بن جعفر بن قدامة، نقد الشعر، مطبعة الجوائب– قسطنطينية، ط1، 1302هـ.
- محمد بن الحسن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، دار الشروق– القاهرة، ط2، 1981م.
- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط4، 1997م.
- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، د.ط.

- المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط1، 1997م.
- ياقوت الحموي، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط1، 1993 م.